اشكالية الهوية الشعبية بين التطور التكنولوجي والحرف التقليدية .

طالب(ة) دريسي ثاني سلاف[1]

مقدمة :

تعتبر الحرف التقليدية موروث ثقافي مادي ، والتي تمثل ثروة فنية و جمالية تعكس المستوى الحضاري و الاجتماعي التي وصلت اليه الشعوب و المعتقدات الدينية والشعبية التي كانت سائدة في تلك الحقبة التاريخية وهي بثرائها1،وتنوعها وخصوصيتها تجسد1 حضارة عريقة لشعب بأكمله، ولكن مع التغير الاجتماعي بدأت الحرف التقليدية تتغير و تتبدل و ذ لك حسب بنية وأطر المجتمع العامة الذي تعيش فيه ، يضاف الى ذلك التطور التكنولوجي العام و التوسع الحضاري الذي يطال كل شيء و طغيان الآلة و التقنيات المتطورة ، حيث يسيطر على الفاعلية الإنسانية سيطرة قوية بلغته وثقافته و آلات انتاجه و تقنياته المتطورة و السريعة و الضخمة على ذات الإنسان على فكره و ثقافته وقلبه ، الأمر الذي أدى الى الاستسلام استسلام مطلقا وبالتالي أدى الى قتل الاحساس بالانتماء و طمس الهوية ومن هذا سوف نحاول في هذه المداخلة الى تسليط الضوء حول التساؤلات التالية :

.1. كيف يساهم التطور التكنولوجي في التأثير على الحرف التقليدية ؟ما أثر ذلك على الهوية الشعبية ؟

سوف نحاول في هذا الجزء من الورقة المقدمة تحديد بعض المفاهيم الرئيسية المستخدمة في محاولة لإجلاء الغموض المحتمل بسبب الاستخدامات المتنوعة للمفاهيم المتداولة التي يحملها الباحثون معان و ايحاءات متنوعة و مختلفة على اختلاف مدارسهم و انتماءاتهم الاديولوجية .

مفهوم الحرف التقلييدية .

إنه مصطلح يحمل معنيين1 ، لكل منهما دلالته الخاصة ، و هما يشكلان المفهوم لهذا المدلول : (صناعة ، تقليد) .

[1] طالبة دكتوراه تخصص أنتروبولوجيا جامعة تلمسان. drici_tani@live.fr

أما الصناعة فقد عرفها اللغويون القدماء أمثال "ابن منظور " في معجمه لسان العرب2 حين ذكر : صنع : صنعه ، يصنعه ، صنعا فهو مصنوع و صنع عمله .... و اصطنعه : اتخذه ...و يقال اصطنع فلان خاتما ، اذا سأل رجلا أن يصنع له خاتما واستصنع الشيء:دعا الى صنعه ....والصناعة : حرفة ، الصنائع و علمه الصنعة و الصناعة : ما تستصنع من أمر ... و نجد في القواميس الحديثة : صنع ، يصنع ، اصنع ، صنعا الشيء و عمله : (صنع)صنعاو صنعة ، فرسه : أحسن القيام عليه... صنع : يصنع ، صنعا الرجل : مهر في الصنع فهو صنيع .... الصنع هو العمل .... والصنع هو كل ما صنع ...(ج) أصناع الصنعة هي عمل الصنائع – حرفته . والصناعة هي حرفة الصنائع كل علم أو فن يمارسه الأنسان حتى يمهر فيه و يصنع له حرفة (ج) صناعات وصنائع3 ....

والحرف التقليدية تستخدم أساليب تقليدية و تكون في منتجاتها مصنوعة يدويا باستعمال مواد أولية و تكنولوجية و كما عرفها ابن خلدون في كتابه المقدمة : " أ علم4أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري و يكونه عمليا هو جسماني محسوس و الأحوال الجسمانية المحسوسة أثم قائدة ، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذالك الفعل و تكرره مرة أخرى حتى ترسخ صورته و على نسبة الأصل تكون الملكة و نقل المعاينة أو عبأ و أثم من نقل الخبر و العلم ،فالملكة الحاصلة عن الخبر على قدر جودة التعليم و ملكة المتعلم في الصناعة و حصول ملكة . تناول ابن خلدون في تعريفه نقطتين أساسيتين أولاهما أن الصناعة ملكة يكتسبها الإنسان بتكرار استعمالها ، فهي ليست فطرية ، أو بمعنى اخر هي عمل تطبيقي و ممارسة فعلية الأمر الذي يجعل اكتسابها عن طريق التعليم النظري . و يشير ابن خلدون في بقية التعريف الى نوعين من الصناعة اذ يقول : ثم أن الصنائع منها البسيط والمركب ، و البسيط هو الذي يختص بالضروريات و المركب هو الذي يكون للكماليات .... و تعتبر الصناعة اليدوية قديمة المنشأ و يرجع ظهورها الى ظهور الإنسان نفسه .

ومن خلال ما سبق يمكن أن نقول أن الصناعات التقليدية (القديمة أو البدائية) كانت محصورة في أنواع بسيطة تعد على الأصابع تتماشى مع متطلبات العيش الضرورية و البسيطة في الوقت نفسه و مع كل حقبة جديدة أخذت تظهر صنائع جديدة ، تفرضها طريقة العيش

الجديدة، أيضا الى أن بلغت الصناعات التقليدية المستوى الذي هي عليه في عصرنا من التطور كما و كيفا، فهي لا تكد تعد من كثرتها و تنوعها .

أنواع الصناعات التقليدية في الجزائر :

تزخر الجزائر برصيد هائل من الصناعات التقليدية ، فهي أنواع متعددة و مختلفة في مناطق من البلاد ، وهي مرتبطة بالظروف البيئية و على هذا الأساس يمكن تقسيم هذه الصناعات الى ثلاث فروع ريفية و حضرية و صحراوية و بلادنا تشتهر بعدة أنواع من الصناعات التقليدية ، ومن أهم هذه الصناعات التقليدية نجد ما يلي :

ا) صناعة المنسوجات (الزرابي).

تعرف الجزائر بصناعة الزرابي5 الفاخرة الى درجة منافسة للصناعة الفارسية في هذا المجال ، ذلك أن الزرابي الجزائرية لا تصنع إلا من الصوف الناعم الخالص دون خلط ، ناهيك عن التنوع في الأشكال و الأدواق ، و تشتهر الجزائر بزرابي الحضنة (المسيلة)

و الأوراس (شارشال – خنشلة)و الزربية النموشية بمنطقة تبسة و الزربية الخالدية بمنطقة بسكرة .

ونجد الزربية التلمسانية التي تعتبر حرفة خضرية معظم من يهتم بها النساء أكثر من الرجال ، و لا يكاد بيت قديم يخلو من منسج ، ولا يكاد حي من أحياء المدينة يخلو من ورشة ، غير أنه و مع الاسف ، فان هذه الصناعة العريقة تراجعت بشكل ملفت للانتباه بعد ما كانت المنطقة رائدة في صناعة الزرابي ، حيث كانت تصدر الى أروبا في عقدي الستينات و السبعينات ما بين 400 ألف و 500 ألف متر مربع من الزرابي الفاخرة منافسة بذلك الزربية الايرانية و التركية ، و كان القطاع يشغل حسب جريدة المساء من 15000 يد عاملة.

و يعود تراجع الزرابي المحلية الفاخرة الى أسباب كثيرة منها ظهور المكنة في البلدان المنافسة ، وغلاء المادة الأولية يحاولون جادين استرجاع مجد هذه الصناعة العريقة بكل ما يملكون من ارادة وامكانيات . أما فيما يخص الزرابي التلمسانية العادية ذات الاستعمال المحلي اليومي ، فان انتاجها أيضا تراجع بشكل محسوس بفعل منافسة الأفرشة البسيطة المستوردة أو المصنوعة بالآلات الحديثة الممكنة.

ب) الأواني الفخارية :

لقد عرف الانسان مادة الطين منذ القدم حيث استطاع عن طريق العجن و الخرط و القولبة أن يصنع لنفسه العديد من الأواني والنماذج الفخارية في أشكال و أحجام متنوعة و بألوان وزخارف مختلفة تختلف من منطقة لأخرى كصحون و الأكواب و المزهريات و المصابيح (المصابيح الزيتية لمنطقة الأوراس و القبائل) ، ومما لا شك فيه أن توفر المادة الطينية في كثير من المدن الجزائرية هو السبب الرئيسي في وجود عدد كبير من المراكز الانتاجية التي تهتم بالصناعة الفخاري ، حيث نجدها تتركز في الميزاب ، جرجرة و الأوراس و الهضاب العليا و تلمسان .

ت) الحرف الجلدية :

مارس الانسان الجزائري الحرف الجلدية6 منذ القديم ، و تفنن فيها كبيرا ، و تعود علاقته بهذه الحرفة الى تلك العلاقة القوية بعالم الحيوانات سواء الأليفة منها مثل الغنم والمعز و البقر و الابل والأرانب ، أم المتوحشة منها الغزال و الذئب و الأسد .

ولقد استفاد من حليبها و لحومها و صوفها ووبرها و كذلك جلودها حيث صنع منها الألبسة والأحدية و الأفرشة والأغطية كما صنع منها عددا من أنواع الأدوات المنزلية كالأطباق والقرب .

لكن هذه الحرف ظلت محدودة المساحة المهنية و لن تعرف نفس الرواج و الانتشار اللذين عرفتهما الحرف الأخرى ، و ربما يعود ذلك أصلا الى صعوبة هذه الحرفة و قلة الممتهنين فيها وكذا قلة مادتها حيث ان الانسان الجزائري يكسب الغنم و البقر و الأرانب ,، و يحتفظ بها لأن منفعتها وهي حية أحسن من جلدها ، فهو يستفيد من حليبها و من صوفها ووبرها ما دامت حية ، أما جلدها فاستعماله قليل

ث) الحرف النحاسية :

كشفت الدراسات التاريخية7 و الأثرية أن الإنسان الجزائري مارس الحرف النحاسية المعدنية منذ عصور قديمة و ظل محتفظا بهذه الحرفة التي أصبحت تشكل محطة أساسية في حياته الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية و السياسية ، لقد استثمرها استثمارا اجتماعيا حيث صنع منها الأساور و الخلاخل و الخواتم و الأقراط كما استثمرها اجتماعيا حيث صنع لوازم داره و بيته و مطبخه ،

فصنع الأبواب والكراسي و القناديل و المصابيح ، و الأباريق و المصابيح ، والأباريق و الصحون ، والأطباق و السكاكين و المعاليق و الموائد و الأسرة .

لقد كانت للحرف النحاسية من "الحرف التقليدية " الرائجة في الجزائر منذ القديم ، كما أن مادتها الخام أي النحاس و المعادن كانت محلية أي استخرجها الانسان الجزائري بوسائل خاصة ، صنعها خصيصا لذالك .... فكان يبحث عن المعادن بطريقته الخاصة ، حيث كان يعتمد على لون التربة الموجودة على سطح الأرض ، قد تكون دليلا على وجود معدن في الباطن ، او يعتمد على حاسة الشم حيث في اعتقاده و حسب رؤيته الحرفية ، فان الأماكن التي يحتوي باطنها على معدن ما قد تشيع منها رائحة خاصة ، كما كان يعتمد على بعض النباتات التي لا تنبت و لا تظهر الا في الأماكن ذات التربة المعدنية . فلما يعثر و يكشف معدنا ، فكان يلجأ الى عملية الحفر، ثم اخراج المعدن ثم غربلته و غسله ثم حرقه و تذويبه فوق نار قوية ، لتبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة التحويل وسكب وإسالة المادة المذابة في قوالب مختلفة ، و بعد تجفيفها يبدأ في تقطيعها الى قطع صغيرة ليصنع منها ما يريد و فق أشكال هندسية ومتنوعة.

مفهوم التكنولوجية :

التكنولوجية عوما كظاهرة قديمة**8** قدم الانسان والشيء الحديث فيها هو الفظ فقط ، وكلمة تكنولوجيا كلمة معربة و الأصل لها في كتب اللغة العربية و قواميسها ، وتقابلها كلمة تقنية ، والتي يمكننا أن نطلق على كلمة " تكنولوجيا " و كلمة تكنولوجيا مكونة من مقطعين هما : تكنيك والذي معناها الطريق أو الوسيلة و لوجي التي تعني العلم ، و يكون معنى الكلمة كلها " علم الوسيلة " والذي بها يستطيع الانسان أن يبلغ مراده و قد عرفت الموسوعة الفلسفية السوفينية التكنولوجية بأنها : مجموع الآلات و الآليات و الأنظمة ووسائل السيطرة ، و التجمع و التخزين ونقل الطاقة والمعلومات، كل تلك التي تخلق لأغراض الانتاج . و أخد مفهوم التكنولوجية أبعاد أخرى ، حيث عرفت بأنها : المجموع الكلي للمعرفة المكتسبة و الخبرة المستخدمة في انتاج السلع والخدمات ، في نطاق نظام اجتماعي اقتصادي معين، من أجل اشباع حاجة المجتمع التي تحدد بدورها كم ونوع السلعة /الخدمة ، حيث أعطى هذا التعريف مدلول سوسيولوجي للتكنولوجيا ،من خلال ربطها بالنظام الاقتصادي والاجتماعي والرأسمالي، كما أخد ت التكنولوجيا بعدا أنتروبولوجيا

وهذا يظهر في التعريف الأتي : التكنولوجيا مساق ثقافي رئيسي في حياة الناس كالفلسفة والدين والتنظيم الاجتماعي والنظم السياسية ، وبالمعنى الواسع جميع هذه الأشياء هي نواح تكنولوجية . وعموما فان التكنولوجية كما يحددها " زاهر أحمد " تتمثل في ثلاث مفاهيم أساسية :

أ- التكنولوجية كعملية: وهو التطبيق المنظم للمحتوى العلمي أو المعلومات ،بغرض أداء محدد يؤدي في النهاية الى حل مشكلة معينة .

ب . التكنولوجية كمنتج :

هي محصلة تطبيق الأساليب العلمية ، يكون فالمساعدة في انتاج الآلات و الخامات و يطلق على الآلات hard ware والمواد الخام soft ware .

ت . التكنولوجية كمزيج للأسلوب و المنتج :

من هذا يتضح أن عملي الاختراع تصاحبها عملية الانتاج و بالتالي لا يمكن فصل التكنولوجيا كأسلوب عنها كمنتج .

مفهوم الهوية الشعبية :

يعتبر مصطلح الهوية الشعبية مصطلحا مركبا من لفظين اتنين : الهوية ،الشعبية .

أ-)مفهوم الهوية :

الهوية9 هي مصدر مشتق من الهو ، كما تشتق الإنسانية من الإنسان والهوية هي وحدة الأنا (الذات) وأساسها ، فهو الأنا تعني ذالك الإحساس الأنوي بأني أنا هو أنا في كافة الأحوال والأزمنة، وهي في الآن نفسه ما تميزه الأنا عن غيره من أنوات ، فالهوية كمبدأ فلسفي تعبر عن ضرورة منطقية بعينها ، تؤكد أن الموجود هو ذاته دوما لا يلتبس به ما ليس منه .... فالشخص هو هومهما اعتراه من تغيرات ،الأمرالذي يشير الى أهمية ادراك العمليات اللاشعورية و التسليم بها، ذلك أن الانسان اذا ما كان هو هو فان اصابته بالمرض تظهر تغيرا يشير الى ما كان خفيا و كامنا فيه .

فالهوية تميز الفرد عن غيره من خلال مجموعة من المميزات و الخصائص تتمثل في (الاسم الحالة العائلية ، الجنسية ....)،ويثبت الفرد هويته بموجب القانون من خلال بطاقة الهوية، حيث تحدد فيها صفاته الجوهرية التي يتم تمييزه عن غيره . وتعد الهوية من أكثر الحاجات الانسانية

الشائعة عند الجنس البشري ، وهي هدف يجب الاقتناع به والسعي وراء ه ويتحتم الوفاء به ، وينشأ الشعور بالهوية من خلال الانتماء الذي يدعمها ويقويه ، والذي يؤدي اليها ، ويحتم ضرورة الوعي على أنها سبب ونتيجة له في آن واحد .

فلانتماء يسعى الى توطيد الهوية كما تدل هي الأخرى على وجوده ، اذ يعبر الأفراد عن هوياتهم ، وبالتالي انتماءاتهم من خلال سلوكاتهم .

فهناك علاقة بين الهوية والانتماء ، فكل منهما يدل على وجود الآخر و يدعمه ، وهذا ما يفسر مقولة ان الهوية سبب الانتماء و نتيجة له في الآ ن نفسه . كما أن الهوية هي التي تحمل الفرد على التميز عن غيره من خلال مجموعة من الخصائص و المميزات ، وهي صفات جوهرية لولا وجودها لما أمكن تمييز فرد عن آخر.

أ–الهوية من الناحية الاشتقاقية :

إن الهوية في العربية مصدر صناعي10 مركب من "هو "ضمير الغائب وهو عبارة عن رابطة ومعناه الوجود،ويسمى بالرابطة لأنه يربط بين معنيين ولما كانت لفظة "هو "ليست اسما ولا كلمة في اللغة العربية فإنه تعذر إيجاد مصدرا منها .

إن كلمة هوية ليست في الأصل عربية ولكن للضرورة فقد اضطر المترجمين إلى اشتقاق هذا الاسم من حرف الرباط،والذي وجد أساسا ليربط المحمول بالموضوع،كقولنا إن سقراط هوحيوان أو إنسان ولذالك فقد عرف الإنسان بأنه حيوان بمعنى أن جوهره فيه جانب من الحيوانية .

ولما وجدوا هذا الحرف يقوم بهذه الوظيفة فقد اشتقوا منه هذا الاسم على ما اعتاد عليه العرب من اشتقاق اسم من اسم لأن الحرف لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مصدر اشتقاق وبهذا أصبح هذا الاسم يدل على ما يدل عليه ذات الشيء.

أما إذا رجعنا إلى اللغة الفرنسية فإن كلمة Identitéمشتقة من اللاتينية identitas وهذه الكلمة مشتقة بدورها من الكلمة "idem"وتعني المثل أو الشيء نفسه .

ظهرت كلمة idenفي الثقافة الأوروبية عام 1501م وسبقتها "هوية "التي ظهرت عام 1361م.

هذا عن الاشتقاق اللغوي لكلمة هوية التي تعني الشيء ذاته .

ب- الهوية من الناحية الاصطلاحية :

إن مفهوم الهوية يختلف باختلاف الحقب التاريخية 11وباختلاف المقاربات التي تناولته.فعلى المستوى الفلسفي وفي المنطق خصوصا،إن الهوية هي مبدأ الفكر وأساسه وتعني تطابق الشيء مع ذاته، ويعرف بمبدأ الهوية أو مبدأ الذاتية ويعبر عنه بالصيغة أهي أ الذي يعني أن الشيء هو الشيء هو ولا يمكن أن يصبح شيئا آخر رغم التحول والتغير الذي يطرأ عليه وهو لا يصدق على المساواة الرياضية فحسب بل يصدق على كل علاقة منطقية .وبهذا يكون الفكر متطابقا مع ذاته .

ويبرز تاريخ الفلسفة قديما عن وجود نوعين من الخطابات الفلسفية إحداها يقول بالتغير و الآخر بالثبات . ويمثل الاتجاه الأول هيرقليدس ،فقد كان يقول بأن الأشياء في تغير متصل وقد عبر عن هذا التغير في صورتين :

الأولى في جريان الماء عندما قال :أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين فلأن مياها جديدة تجري من حولك "أما الصورة الثانية أن اضطرام النار هي أسرع حركة وأدل على التغير ..."

هذا ما ذهب إليه كلود دبيار عندما قال :"لا يوجد جوهر أبدي فالكل خاضع للتغير فهوية أي كائن أمبريقي (تجريبي)ترتبط بالفقرة التي يتناول فيها بوجهة النظر التي يتناول من خلالها " .

أما الاتجاه الثاني يمثله برمندس والذي يعبر عن موقف معارض ومناقض للأول .

فقد ذهب إلى أن الوجود قديم ثابت كامل ... فأنكر الكثيرة و التغير واعتبرهما وهما وظلما .وبذلك فإن ثبات الأشياء يتطلب أن تكون بعيدة عن كل تغير .لقد أشار كلود ديبار في كتابه "أزمة الهويات Les crises des identitésأن برمندس يظهر أنه أول من تكلم عن الهوية عندما قال :لا وجود لجواهر أبدية فالكل خاضع للتغير ، إن هوية أي كائن أمبريقي تخضع للفترة التي يتناول فيها وبوجهة النظر التي يتناول من خلالها ".

على أساس هذه الجدلية جاء التعريف الفلسفي للهوي جامعا في ذلك بين الثبات والتغير ،فالهوية هي ما يبقى هو نفسه وكما هو بالرغم من اختلاف طرق إدراكه .يمكن القول أن هذا التحديد الفلسفي يتضمن لحظتين زمنيتين ،لحظة الجوهر الثابت المتماثل مع ذاته ولحظة الثبات في الزمن وهو ما يعبر عنه بالديمومة في الزمن ولكن مسألة الهوية لا تنحصر فقط في التحول و التغير و

الثبات والاستقرار بل تشمل مسائل من مثل الوحدة و الكثرة و التنوع و التعدد، والجوهر والمحتوى، والحقيقة و الواقع و النسبي و المطلق و غيرها من العناصر المتصلة بموضوع الهوية .

العلاقات البنائية للهوية :

1-الهوية /الأنا :

من المفاهيم التي تشمل الهوية أو تتضمنها نجد مفهوم12 الأنا إنه يلعب دورا أساسيا في تحديد ملامح الهوية ومعانيها .إن الأنا بالعربية مشتق من اللاتينية ego ومن الفرنسية je.

وفي الاصطلاح "فهو بناء نفسي يتكون من صفتين أساسيتين هما الشعور و اللاشعور ،انه موضوع وذات لأبحاث اللبيدو،إنه فاعل داخل مجمعة من الوظائف منها الواقع ،النزوات،الأهواء ، الدفاع ،العلاقات و التكيف . إن التعريف الاصطلاحي يجعل من الأنا عملية بناء وهذه الأخيرة لا تتم إلا عبر مراحل ،وهذا البناء أساسه فاعلية هذا الأنا من خلال الأدوار التي يقوم بها كعمليات التكيف و الدفاع وغير بعيد عن هذا التحديد نجد Erikson أول من تحدث عن الهوية بوضوح وجعل منها مفهوما مركزيا في تصوراته النفسية .لقد لاحظ إريكسون أن فريد أهمل في نظريته أثر العوامل الاجتماعية فإذا كان للأنا أثر ها النفسي الداخلي فإنه من المؤكد أن لها جانب آخر اجتماعي خارجي .

مما يؤكد ذلك أ ن كل سلوك و إن كان في أصله تعبيرا عن اندفاعاته ورغباته داخلية فإنها تنطلق بالتوازي من سياق اجتماعي .

فالطفل الذي يبكي لا يأخذ مفهومه في السياق الاجتماعي من خلال دوافع الجوع الداخلية وانما في الشعور بالتخلي و المفارقة . فإن إريكسون يرى في الهوية بأنها تمثل " المجموع الكلي لخبرات الفرد و تتكون من عنصرين هما هوية الأنا وهوية الذات و ترجع هوية الأنا إلى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل و القيم الإديولوجية و فلسفة الفرد لحياته ،أما هوية الذات فترجع إلى الإدراك الشخصي للأدوار الإجتماعية . ومن هنا جاء تقسيم إريكسون للهوية إلى هوية شخصية وهوية اجتماعية ،فالهوية تكون شعورا بهذا الأنا و بفرديته ثم كذات من خلال علاقتها بالجماعة والدور أو المركز الاجتماعي الذي يمكن أن تأخذه ضمن هذه الجماعة .

2-الهوية :الفرد/الجماعة :

يعتبر الفرد مفهوما من المفاهيم الأساسية13 و الجوهرية في فهم معنى الهوية ،فكلمة فرد بالفرنسية individu ومعناها ما لا يمكن تجزئته أوتقسيمه أما من ناحية التعريف النفسي والاجتماعي فإنه كائن إنساني باعتباره عضو في جماعة ما أو في مجتمع ما ،فهو وحده كذات وهذه الأخيرة لا يمكن أن تتحقق إلا كذات منتمية إلى جماعة أو مجتمع ما .

ان الكلام عن الفرد (الهوية الفردية)يحيلنا إلى ضرورة الكلام عن الجماعة (الهوية الاجتماعية)و لذلك فالهوية حسب علماء الاجتماع تعبر عن الانتماء بكل أشكاله كالانتماء إلى جماعة أو منظمة أو طبقة اجتماعية ... ومن هنا تتحدد الهوية الاجتماعية على أنها:ليست إلا النتيجة النهائية و المؤقتة ،الفردية و الجماعية ، الذاتية و الموضوعية ،البيوغرافية والبنيوية .

3-الهوية الاجتماعية :

تشيرا لهوية الاجتماعية الى الصورة التي تحملها الجماعة عن الفرد عن السلوكات التي تنتظرها منه،كما تعبر عن الجانب الموضوعي لهوي الفرد و الذي يسمح بتعريفه من طرف الغير ، فهي بذلك تحدد موقعه في النظام السوسيولواقتصادي وكذالك في النظام البيواجتماعي الذي ينتمي اليه.

بينما الهوية الثقافية14 تمثل الخصوصية التي تميز جماعة بشرية عن غيرها : كالعيش المشترك العقيدة ، اللغة ، التاريخ والمصير المشترك ... ومن هنا فإن الهوية الثقافية تحمل دلا لتها من المحددات الأساسية لثقافة الأمة ،التي عبر عنها مونتسكيو ب:"روح الأمة "لأنها تمثل رمز وحدتها واستمراريتها .بحيث تتفاعل عناصر هذه الهوية ضمن هوية مركزية أو مرجعية Frame Refence

والهوية الثقافية تتحدد وفق المرجعين التاليين هما الثقافة والوطنية فهي تشمل كل السمات الثقافية للأمة، وتصبح بالتالي أحد الدلالات الأساسية المحددة لهوية شعب يعيش ضمن إقليم جغرافي محدد، إذ أصبح مفهوم المواطنة من رموز وحدة واستقرار الأمة و بامكانه أن يستوعب كل الثقافات الفرعية.

ب) **مفهوم الشعبية :**

شكل مصطلح الشعبية15 "موضوعا خصبا لعدد من الدراسات الاجتماعية والأنتروبولوجية والسيااسية وتكاد تتفق هذه الدراسات حول مفهوم " الشعبية " وما يشيعه من دلالات مختلفة .

فالشعبية صفة مشتقة من مصطلح الشعب الذي ألهمها المادة و الروح من حيث الطرح اللغوي الشكلي و الدلالي و الرمزي ، فالشعبية صفة لكل ما يصدر عن الشعب قولا ، ممارسة ، سلوكا ، تصورا للحياة و للأشياء ..... و يندرج ضمن هذه الدائرة المفهوماتية لمفهوم ا لشعبية أيضا كل كل ما هو موجه للاستهلاك الشعبي سواء أكان ماديا أم معنويا .

يختلف مفهوم الشعبية عن مفهوم الشعوبية و الشعبوية اللذين يستثمران في حقول و مناسبات واثنولوجية أخرى ...

وحديثنا عن مفهوم الشعبية يفرض علينا الاشارة الى عدد من الدراسات الاجتماعية والانسانية وكذا بعض الأطروحات التي ترفض استعماله ، أي استعمال مفهوم الشعبية –وتسعى جاهدة من أجل البحث عن المصطلح البديل والمؤهل تكفل بكل المظاهر والقضايا التي قد يحملها هذا المصطلح بين طياته أو يشير اليها من خلال اشاعاته المادية والمعنوية. تعود أسباب و تعديلات هذا الرفض الى الرأي القائل ان مصطلح الشعبية: "مصطلح ايديولوجي لا يجد مبررا للاستعمال والتداول الا في المجتمعات الطبقية التي تقسم مسألة السلطة والهيمنة ومواطنيها الى طبقة مسيطرة مهيمنة وطبقة خاضعة محكومة.. ولكل من الطبقتين رأياها وتصورها عن الواقع، تصوغ يهما أيديولوجية المعروضة على واجهة ثقافية، وفي هذه المجتمعات يصطلح على ثقافة الطبقية المسيطرة بالثقافة الرسمية ، مقابل ثقافة الطبقة المحكومة المهيمن عليها .

رفضت بعض هذه الدراسات استعمال مصطلح الشعبية لاعتقادها أنه مصطلح سياسي ايديولوجي لا يمت الى التصورات لمعرفية بأية صلة .

لقد اجتهد بعض المهتمين لإيجاد مصطلح علمي أكثر وضوحا و أكثر تعبيرا عن هذا الفضاء وما يدور في فلكه من قضايا و مظاهر ثقافية مرتبطة ارتباطا عضويا بالشعب. فظهرت مجموعة جديدة من المصطلحات و حاول كل باحث ايجاد مبررات علمية لشرعية مصطلحه .

ولعل أهم هذه المصطلحات التي عمل أصحابها على التأسيس لها وترسيخ معالمها من حيث الطرح الموضوعاتي و المعرفي و المنهجي ما يلي : – لثقافة الشفوية أو الشفهية. – الثقافة المحلية. –التقاليد الشفوية. – التراث التقليدي. – الفلكلور .

–علاقة الحرف التقليدية بالهوية الشعبية :

تساهم الحرف التقليدية في تعزيز الهوية الشعبية ، الهوية16 تميز الفرد عن غيره ،وهي تحمل ملامح الأرض والناس و الاختلاف و الاتفاق على عديد من النقاط وبالتالي قراءة الهوية ،ان المنتج الثقافي من خلال الشكل والرمز الذي يحمله تجعلك تقرأ التاريخ المورث الماضي و الآني معا . فهو يعد قراءة صادقة لما أتفق عليه الناس و وما وجدوا فيه وى لديهم واحتضنوه ولم يتخلو عنه ليصبح علامة ، ان الألفة مع العلامات و الرموز وحجم الانتماء بين الناس و منتجاتهم ، هو قراءة لحجم الانتماء و الالتفاف حول ثقافة تلك الشعوب الموروثة مجموع الخبرات التي ورثها الحرفيين عن آبائهم ، وتعتمد على الالمام بتقنيات الحرف التقليدية و تمثل يدوية و تشكيلات متميزة ، فرضتها ثقافة الحرفة في كل مجتمع .

وهذه التشكيلات المصنوعة من خامات البيئية و المعالجة بطريقة يدوية ، تحمل علامات ورموز هي رواسب للأزمات كانت فيها تلك العلامات محور رئيسي في أعراف أو معتقدات أو ممارسات مجتمع ليصبح لهذه الرموز دلالته المقروءة ووظيفته التي استطاع الحرفي حينها جدب عواطف المشاهد لها .

–التطور التكنولوجي و الحرف التقليدية :

ان التطور العلمي و التقني الذي شمل حياة الانسان ، جعل العديد من الحرف التقليدية والمهن في زاوية النسيان بعد أن كانت تملأ الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالنشاط و العمل في كل مناطق الجزائر ، فقد كان لهذه الحرف و المهن أسواق17 و تجمعات و ارتباط وثيق بدعم الحركة الاقتصادية نتيجة استيراد الأدوات التي يحتاجها الحرفي لتأدية عمله على أكمل وجه ، ونتيجة لتلك التكنولوجية و استخدام الآلة وتغير طرق العمل و الخامات و تصميم المنتجات الخ ....

ونتيجة لتلك التكنولوجية أصبحت العديد من المهن أثر أبعد ، حتى أن بعضها مضى على تركها أو عدم مزاولتها ، بحيث أصبح الجيل الحالي لا يذكر منها شيئا ، فقد غدت جزءا من التراث

الشعبي . الكثير من الحرفيين لم يكن وضعهم يسمح بشراء المواد الخام ، حتى مع العمل المكثف واحتفظت الكثير من المهن والحرف بطرق بدائية من سمات العصور الوسطى ، وكان عماد الحرفة والذي يعمل لخدمة السوق مباشرة و كان غالبية الحرفيين يرتبطون بالإنتاج الصناعي يبيعون بضائعهم دون وسيط لأن الاعمال الحرفية التقليدية تنتج منتجات محدودة الكم و مرتفعة التكلفة، لم تتمكن من مواجهة مطالب المجتمعات من المنتجات و الخدمات ، مما أدى الى خضوعها للعديد من التغيرات و التكنولوجية الحديثة ، كاستخدام الآلات و تغير طرق العمل و الخامات وتصميم المنتجات الخ.. و لأن العامل الحرفي التقليدي مسئول عن مستوى الجودة و الكم فيما ينتجه ، فهو أكتر العاملين اهتماما بمصادر المعلومات و الخبرات التكنولوجية الحديثة , ولهذا فهو بمجرد أن يعلم تصميما جديدا أو مناسبا سرعان ما يبدأ في انتاجه ويواجه العاملون الحرفيون التقليديون مطالب عمل متعددة ومتغيرة، وفقا لكل من تباين العملاء ورغباتهم و تنوع مشكلات العمل غير المتوقعة وتغيرات السوق (العرض والطلب) حيث غلب في الطلب على المنتجات المستورة .

ولذا فان العاملين في أمس الحاجة الى تنمية قدراتهم الابداعية ، حتى يتحسن مستوى الانتاجية كما وكيفا، عى نحو يزيد من القدرة التنافسية لمنتجاتهم أمام المنتجات الأجنبية في السوق المحلي والخارجي، بعد التطور التكنولوجي ودخول آليات ميكانيكية و هو ما أدى الى خروج الانتاج من البيوت الى الورش وتقلص دور الأسرة في عمليات الانتاج اذ كانت توجد حرف عائلية ، لازالت موجودة في الوقت الحالي لكن بنسبة قليلة ، وحتى جيل اليوم صار يبحث عن الربح السريع ويبتعد عن كل عمل يتطلب جهد، وهذا التحديث17 التكنولوجي قد ترك الأفراد بدون اطار موجه يجمعهم ، في الوقت الذي تضاءلت فيه ذكريات الماضي ببعده التاريخي الثقافي.

اشكالية الهوية الشعبية بين التطور التكنولوجي والحرف التقليدية :

فالأعمال الحرفية التقليدية تنتج منتجات محدودة الكم و مرتفعة التكلفة لم تستطع من مواجهة مطالب المجتمعات من المنتجات و الخدمات مما أدى الى خضوعها للعديد من التغيرات التكنولوجية كاستخدام الآلات وتغير طرق العمل وتصميم المنتجات الخ.... وبهذا يمن القول أن الواقع الاجتماعي والاقتصادي يتميز18 بطغيان نموذج تكنولوجي مادي رهيب حيث يسيطر على

الفاعلية الانسانية سيطرة قوية بلغته وثقافته و الآلات انتاجه و تقنياته المتطورة و السريعة و الضخمة و القياسية على ذات الانسان على فكره و ثقافته و قلبه الامر الذي أدى به الى الاستسلام استسلاما مطلقا و بالتالي وجد نفسه في حالة اغتراب مذهلة و تشرد متين بين ثقافته التقليدية الاصلية التي تموت أمامه وبين يديه عضوا عضوا وبين ثقافته دخيلة فرضت عليه قسرا ولم يستطع الافلات من ويلاتها ومن حصارها ومن رغبتها الاكيدة في احتوائه واحتواء ثرواته .

و قد صاحب هذا الاحتواء التكنولوجيا للإنسان و لثقافته المحلية بنية ايديولوجية و فكرية في قتل الاحساس بالانتماء الى ثقافة ما والى حضارة ما والى بيئية جغرافية ما . لقد عمل النموذج التكنولوجي على سلب الانسان المحلي ذاته الحضارية و الثقافية و التي تضمن له عادة الحصانة الروحية وفق أطر محلية متفاعلة فيما بينها و بين هذا الانسان ذاته تفاعلا جغرافيا و اقتصاديا و اجتماعيا و أخلاقيا.

ولعل ما يضمن للإنسان هذا التفاعل هو أن الحرف التقليدية قد تكونت من خلال عمليتي الأخذ والعطاء المتبادلة بين الانسان و البيئة الجغرافية و الثقافة المحلية وقد تختلف علاقة الانسان بالحرف التقليدية عن علاقة بالنموذج التكنولوجي ، حيث ان العلاقة الأولى هي علاقة عضوية امتدادية تفاعلية متكاملة وفق فلسفة و أسس انسانية ، أخلاقية ، عرفية ، اجتماعية ، عقائدية ، اقتصادية فنية و جمالية. في حين أن العلاقة الثانية هي علاقة انفصالية ، قامت أساسا من أجل تحقيق مصالح مادية وفق رؤية خاصة محددة من حيث انتماء الاجتماعي و الاقتصادي دون مراعاة خصوصيات الانسان الذي تحول

إلى شيء مادي قيمته تتحدد بما ينتجه للآخر المستغل فضلا عن هذا ، فان النموذج التكنولوجي يسعى بطريقة أو بأخرى الى احداث هوة ثقافية و نفسية بين هوية انتماء الانسان وبين حاضره الثقافي المادي. وقد صاحب هذه الهوة تنكر للجانب الروحي للإنسانّ ذاته . في حين أننا نجد أن النموذج الحرفي التقليدي متحرر من القيود الفكرية المادية التي كبلت الانسان وطمست هويته الانسانية تحت ضغوطات الآلة و الانتاج المادي التي كبلت الانسان وطمست هويته الانسانية تحت ضغوطات الآلة و الانتاج المادي التي تميز بين الانسان و الأشياء في تحديد ملهيتها ووظيفتها.

ترتبط فلسفة الحرف التقليدية ارتباطا قويا بنفسية ووجدان الشعوب كما تقوم أساسا على سيادة القيم الأخلاقية الحضارية المحلية . و بهذا فان الحرف التقليدية في طرحها الشامل و الشمولي هي ترجمة صادقة وحية لعطاء النفس البشرية وعطاء الذات الاجتماعية الجماعية و عطاء الخبرة الفنية الفردية . فهي نفس وذات وخبرة متفاعلة تفاعلا شعبيا للتعبير عن الشعب وتاريخه وحضارته .

قد لا ننكر التقدم التكنولوجي1 وما قدمه للإنسانية جمعاء من سبل التطور و الارتقاء ، ولكننا أيضا لا يمكن لنا أن لا ننكر مساوئه و مواقفه السيئة و السلبية التي عرقلت المسيرة الحضارية للحرف التقليدية.

وقد يظهر ذلك جليا من خلال ما صنعته تلك الشركات والمؤسسات الصناعية الرأسمالية الكبرى التي جاءت لتنافس الحرفي البسيط وتدمره بلغتها و خطابها و ثقافتها و آلاتها ووسائل انتاجها وأسواقها الكبرى و شروط اقتحامها . فلقد خرجته و هدمت عالمه التقليدي الطبيعي البسيط، كما تنكرت لعاداته و تقاليده و طقوسه و أعرافه الاجتماعية و الاقتصادية المحلية التي لم تستطع الصمود أمام الفلسفة المادية العالمية التي أشاعها النظام التكنولوجي الجديد على حساب الخصوصيات المحلية و الثقافية المحلية و الحرف التقليدية وما تحمله من موروث ثقافي و حضاري أصيل .

لقد وقف النموذج من حيث الطرح الثقافي و الفكري و الحضاري مواقف عدائية احتقارية ازاء الحرف التقليدية حيث وصفها أوصافا سلبية دنيئة بأسماء مختلفة فتارة يطلق عليها الحرف التقليدية، وتارة الحرف الفلكلورية تارة الحرف الفنية الساذجة و ذلك لتدنيسها وطمس هويتها المعرفية والحضارية ونكران قيمتها الاقتصادية . كما أنها اعتاد الحديث عنها إلا في المناسبات كمادة للتسلية والفرجة .

خاتمة:

وفي الأخير ما يمكن قوله هوأن التكنولوجيا تعتبر بعدا أساسيا في كل عملية تنموية وأن استعمالها ضروريا بل أصبح حتميا ، وزادت بذلك التخوفات من أن تعوض الإنسان و بالتالي يفقد هذا الأخير مكانه في العملية الإنتاجية فيعوض بالآلة وتتلاشى المهن وخاصة الحرف التقليدية وخربت عالمه التقليدي الطبيعي الهادئ والبسيط و آلاتها ووسائل انتاجها و أسواقها

الكبرى ، فقد أدت الى قتل الاحساس بالانتماء الى ثقافة ما والى حضارة وبيئة جغرافية ما .وخاصة وأن ا لشباب اليوم يبتعدون عن المهن اليدوية ويسعون حول الربح السريع ،و هذا ما ساهم على الابتعاد عن الحرف اليدوية لما تتطلبه من جهد وصبر و بالتالي أدى ذلك إلى تفتيت العادات المرتبطة بالتراث و الى طمس هوية الشعب و بالتخلي عن خصوصيته وكل ما يميزه.

قائمة المصادر والمراجع.

-1محمد داود- كتاب في المطالعة في التراث الثقافي الجزائري – دار الفاروق للنشر والتوزيع الجزائر –سنة 2010.:

2- ابن منظور – لسان العرب –دار الصادر – بيروت – المجلد الثاني – الطبعة الثالثة- –سنة 1994ص208

3-محمود المسعدي – (القاموس الجديد) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر – الطبعة السابعة – سنة 1991.

4عبد الرحمن – ابن خلدون – المقدمة –كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من بني السلطان الأكبر- دار التونسية للنشر والتوزيع –المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزء الثاني .

5-محمد حرز الله-تلمسان مهد وحضارة وواحة ثقافية –دار السبيل –الطبعة الأولى سنة 2011

6-محمد سعيدي – مقدمة في أنتولوبولوجيا – مظاهر الثقافة الشعبية – دار الخلدونية للنشر والتوزيع – الجزائر سنة 2013 ص67-68

7-محمد الزغبي –التغيير الاجتماعي –دار الطليعة –القاهرة –سنة 1998-ص85

8-لزهر مساعدة – نظرية الانتماء – دار الخلدونية – الجزائر –سنة 2013 .

9- مجلة الفكر المتوسطي العدد الثامن –ماي 2014 –ص166

10-نفس المرجع –ص167

11-نفس المرجع ص169

12-نفس المرجع ص 171

13-خالد حامد- المدخل إلى علم الاجتماع- دار جسور الجزائر – الطبعة الأولى-سنة 2008 ص168

14-محمد سعيدي –مقدمة في أنتروبولوجيا مظاهر الثقافة الشعبية –دار الخلدونية –سنة 2013 –ص12

15-لزهر مساعدية –نظرية الإنتماء –دار الخلدونية –الجزائر –سنة 2013-ص11

16 - سيد حنفي عوض- في علم الإنسان –دراسة و بحوث في ثقافة الشعوب و المجتمعات –المكتب الجامعي الحديث-سنة 2010-ص343

17- محمد سعيدي –مقدمة في أنتروبولوجيا مظاهر الثقافة الشعبية –دار الخلدونية –سنة 2013-ص77

18- نفسه ص78